

32 - السيدة أم عطية



اسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية، وكنيتها أم عطية، كانت من فواضل النساء السابقات إلى الإسلام، عاشت في خير القرون، قرن بعثة سيد البشر، النبي الأعز، سيدنا محمد ﷺ، فقد حَدَّثَ لَيْثٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَجْلَانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «أَنَا وَالَّذِينَ مَعِيَ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ» ثُمَّ كَانَتْ رَفُضَ مَنْ بَقِيَ⁽¹⁾.

سمعت أم عطية ؓ كثيراً من أحاديث رسول الله ﷺ، وتحدثت إليه بشكل مباشر، واجتهدت في طلب الحديث حتى حازت مرتبة الرواية، فإياها من مكرمة عظيمة نالتها! وما أسماها من شرف رفيع حصلت عليه!!

كانت إحدى أشرف نساء الأنصار اللواتي بايعن رسول الله ﷺ على الإسلام، ثم حافظن على عهودهن معه روى النسائي عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: لَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَةً أَسْعَدْتَنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَذْهَبُ فَأُسْعِدُهَا، ثُمَّ أَجِئُكَ فَأُبَايِعُكَ، قَالَ: «أَذْهَبِي فَأُسْعِدِيهَا»، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ فَسَاعَدْتُهَا، ثُمَّ جِئْتُ فَبَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ⁽²⁾.

وَعَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ حَفْصَةَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ

(1) رواه: الإمام أحمد/كتاب: باقي مسند المكثرين/باب: باقي المسند السابق/برقم: (8127).

(2) رواه: النسائي/كتاب: البيعة/باب: بيعة النساء/برقم: (4108).

الْمُؤْمِنَتْ بِكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَشْرَفَ وَلَا يَزِينَنَّ وَلَا يَقْنَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَاتِعَهُنَّ وَاسْتَغْفَرَ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [المتحنة: 12]، قَالَتْ: كَانَ مِنْهُ النَّيَاحَةُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا آلَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعِدُونِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَسْعِدَهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِلَّا آلَ فُلَانٍ»⁽¹⁾.

هداياها لبيوت النبوة

وكانت تكثر التردد على أزواج رسول الله ﷺ، ففازت بمحبة آل بيته الكرام ونسائه وأمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - وكانت السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وثيقة الصلة بسيدات الأنصار، تشاركهن أفرادهن، ولا تتركهن في أحزانهن، وتقدم الهدايا لهن، وتتقبل الهدايا منهن، فكانت لها منزلة عظمى بينهن، وخاصة نسيبة بنت كعب أم عطية رضي الله عنها فقامت مودة ورحمة معهن.

وكان رسول الله ﷺ يسرُّ بهدايا أم عطية، حَدَّثَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ: «عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟»، قَالَتْ: لَا إِلَّا شَيْءٌ بَعَثْتُ بِهِ أُمَّ عَطِيَّةَ، مِنَ الشَّاةِ الَّتِي بَعَثْتُ إِلَيْهَا مِنَ الصَّدَقَةِ قَالَ: «إِنَّهَا قَدْ بَلَغَتْ مَحِلَّهَا»⁽²⁾.

مشاركتها في الجهاد

ولم تكن أم عطية لتكتفي بطلب العلم من خير المناهل وأعذبها، من رسول الله ﷺ، وأزواجه أمهات المؤمنين، بل أضافت إلى هذه الفضيلة فضيلة أخرى لا تقل عنها شأنًا، ألا وهي حب الجهاد، فقد روى الإمام

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجوائز التشديد في النياحة/ باب: / برقم: (1554).

(2) رواه: البخاري/ كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب: قبول الهدية/ برقم:

(2391).

مسلم عَنْ هِشَامٍ، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلَفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَضْعَعُ لَهُمْ الطَّعَامَ، وَأَدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى⁽¹⁾.

وكانت أم عطية ممن يعرف الواجب ولا يتخلف عنه، فحين علمت بوفاة السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ، دخلت عليهم لتواسيهم، فعلمها رسول الله ﷺ مع النسوة اللاتي حضرن غسل زينب، ثم روت ﷺ الحديث ليكون سنة تتبع في غسل الميت.

روايتها حديث النبي ﷺ

وقد روى الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ ﷺ - قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تُوفِّيَتْ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: «اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الْأَخِرَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَعْتُمْ فَأَذْنِي» فَلَمَّا فَرَعْنَا أَذْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حِفْوَهُ فَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا⁽²⁾ إِيَّاهُ»، تَغْنِي إِزَارَهُ⁽³⁾.

كما بينَ لهنَّ رسول الله ﷺ طريقة الغسل، فقد روى البخاري عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ﷺ - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَسْلِ ابْنَتِهِ: «ابْدَأْنَ بِمِيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا»⁽⁴⁾، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ قد أكد التيامن في كثير من أمور الدين.

(1) رواه: مسلم/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم/ برقم: (3380).

(2) أشعرناها: ألبسناها.

(3) إزاره: قميصه، والحديث رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: غسل الميت بالماء والسدر/ برقم: (1175).

(4) رواه: البخاري/ كتاب: الجنائز/ باب: يبدأ بميامن الميت/ برقم: (1777).

وكذلك أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: وَسَمِعْتُ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ قَالَتْ: حَدَّثَنَا أُمُّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها أَنَّهُنَّ جَعَلْنَ رَأْسَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ نَقَضْنَهُ، ثُمَّ غَسَلْنَهُ ثُمَّ جَعَلْنَهُ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ ⁽¹⁾، وروى البخاري أيضاً عَنْ أُمِّ الْهَذِيلِ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها قَالَتْ: نُهَيْتَا عَنْ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُغْزَمَ عَلَيْنَا ⁽²⁾.

وما رواية البخاري للأحاديث التي روتها أم عطية الأنصارية رضي الله عنها إلا تأكيد للثقة بها وتبيان لفضلها، وعلو شأنها بين رواة أحاديث رسول الله ﷺ، وقد روى عن أم عطية البخاري ومسلم وروى عنها أنس بن مالك عن الصحابة، ومحمد بن سيرين من التابعين، كما روى أصحاب الكتب الستة حديث النهي عن اتباع الجنائز، ورواه الإمام مالك إمام الفقه في المدينة، وعمل به أهل المدينة.

وفاتها في البصرة

وفي أيامها الأخيرة رحلت أم عطية إلى البصرة فنزلت في قصر بني خلف، وأصبح منزلها مزاراً للصحابة والتابعين، ولمن أراد أن يمتّع أسماعه بحديث رسول الله ﷺ وظلّت على ذلك حتى ماتت، رحمها الله، وأجزل مثوبتها، ورضي عنها.



(1) رواه: البخاري/كتاب: الجنائز/باب: نقض ضفائر المرأة/برقم: (1181).

(2) رواه: البخاري/كتاب: الجنائز/باب: اتباع النساء الجنائز/برقم: (1199).